رسالة شق القمر وبيان الساعة
لعلي تركه الأصفهاني

أ. د. شعبان ربيع محمد طرطور(*)

هذه رسالة مخطوطة عشت زمنًا فيى متاهة لا أعرف مؤلفها؛ وذلك لأسباب أهمها: أن اسم المؤلف لم يرد في الرسالة، وأن صاحب فهرس المخطوطات الفارسية يذكر أن مؤلفها هو ملا محمد تقي الكاشانى[1]. ولم تسعفني معظم المراجع باسم المؤلف الحقيقى لهذه الرسالة. وبعد بحث مضنٍ وجدت الرسالة من بين مؤلفات علىى تركه الأصفهانى فى " سبك شناسي " لمحمد علي بهار، وعنوانها بالكامل "رساله شق قمر وبيان الساعة". وهذا العنوان يطابق محتويات الرسالة بالفعل، حيث إنها مقسمة إلى قسمين: بحث فى شق القمر وتحقيق بيانه، ومقالة فى بيان معنى الساعة.

تعريف بعلي تركه الأصفهاني

هو سيد صائن الدين أبو "محمد علي" بن أفضل الدين محمد بن صدر الدين أبو حامد محمد تركه الأصفهانى[2]، أصله من خجند[3]؛ ولذلك اشتهر بتُركه (بضم التاء) تصغير كلمة تركى. ومعلوماتنا عنه يسيرة للغاية، بالرغم من أنه ترك مؤلفات كثيرة

(*) أستاذ اللغة الفارسية بآداب سوهاج، وعميد الكلية السابق.

(١) هو ملا محمد تقي بن محمد بن حسين الكاشاني الشيعى، نزيل طهران، ولد في سنة ١٢٢٦ هـ أو ١٢٣٦هـ، وتوفي في سنة ١٣٢١هـ/ ١٨١١م أو ١٨٢١- ١٩٠٣م. فقيه إمامي، له: "بحر الفوائد" في سبعة أجزاء، مطبوع، "معين العوام، مطبوع". "إيضاح المشكلات"، في التفسير، مطبوع، "رسالة في شق القمر"، ويبدو أنها مقتطفة من التفسير، "جامع الأصول"، "جامع المواعظ"، "سفينة في الفقه"، "نجم فى الهداية"، "وسيلة النجاة"، هداية الطالبين"، "رسالة في رد النصارى".

(إسماعيل باشا البغدادي: "هدية العارفين"، استانبول ١٩٥٥م، ج٢ ص ٣٩٢، خير الدين الزركلي: "الأعلام"، بيروت، ١٩٨٤م، ج٦، ص ٦٣).

(٢) هكذا يذكره سعيد نفيسى في كتابه: "تاريخ نظم ونثر فارسي در إيران"، "طبع طهران ١٣٤٤ هـ ش. ص ٧٧٩، ومحمد تقي بهار في كتابه: "سبك شناسيبيا تاريخ تطور نثر فارسي"، تهران ١٣٤٩هـ ش. ج٣ ص ٢٢٨، ويذكر هـ دولتشاه "خواجه صاين الدين تركه الأصفهانى" في: "تذكرة الشعراء"، بهمت محمد رمضان، تهران ١٣٣٨ هـ ش. ص ٢٥٦ . ويذكره إسماعيل باشا البغدادي فى كتابه: هدية العارفين، استانبول ١٩٥١م، جـ١ ص ٧٣ باسم "علي بن داود بن سليمان الأصفهاني صائن الدين الفارسي المتوفى بهراة سنة ٨٣٦ هـ ويذكره خواندمير في كتابه: "حبيب السير"، تهران ١٣٣٣ هـ ش. ج٣ ص ٩ "خواجه صاين الدين على الأصفهانى".

(٣) يذكرها ياقوت في الإقليم الرابع، بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون. (ياقوت الحموي: "معجم البلدان"، بيروت، د.ت، ج٢ ص ٣٤٧).

بالعربية والفارسية. وكل ما نعرفه عنه أنه ولد في أصفهان حوالى سنة ٧٦١ [١]. في بيئة علمية، تلقى العلم منذ طفولته على يد أخيه الأكبر "ضياء الدين" الذي كان من الفقهاء والمتصوفة[٢]، ودرس جميع علوم زمانه خاصةً الحكمة، والفقه، والتصوف، والكلام، وعلم النقطة، والحروف، والأعداد، والجفر، وكتب فى كل هذه الفنون[٣].

هاجر هو وأخوه بأمر تيمور[٤] إلى سمرقند[٥] بعد فتح أصفهان[٦] في سنة ٧٨٩هـ[٧] .وشغل إخوته الكبار في عهد تيمور منصب القضاء، والأشغال المناسبة لفنهم.

وقضى صائن الدين معظم حياته في الترحال والتجوال طلبًا للعلم بناءً على وصية أخيه الأكبر ضياء الدين. فجاب الشام ومصر والحجاز، وفي مصر دخل في خدمة الشيخ سراج الدين البلقينى[٨]، وتتلمذ على يديه، وبعد عودته إلى العراق سمع بخبر وفاة تيمورلنگ (٧٣٦- ٨٠٧)، فانزوى فى أصفهان.

وفى حدود سنة ٨٠٨ هـ أو ٨٠٩ هـ دعاه ميرزا پير محمد[٩] والى فارس إلى

(١) يقول صائن الدين في رسالة نفثة المصدور التي كتبها في سنة ٨٢٠ هـ إنه بلغ من العمر تسعة وخمسين عامًا في هذه السنة (على أكبر دهخدا: لغت نامه، رقم مسلسل ٢٠ طهران، ١٣٣٣ هـ .ش. ص ٦).

(٢) شارك ضياء الدين تركه الأصفهاني شاه نعمة الله ولي التتلمذ على يد سيد حسين الأخلاطي، فهذه هى كل الكلمات التي نعرفها عنه. (د. حسينقلي ستوده:"تاريخ آل مظفر"، طهران ١٣٤٦ هـ .ش. ج٢ ص ٢٩٣).

(٣) سعيد نفيسي: "تاريخ نظم ونثر فارسي" ، ص ٤٥٠ .

(٤) انظر ما كتبته عن تيمور في كتابي "الدولة الجلائرية"، نشر دار الهداية سنة ١٩٨٧م، من ص ٤٢- ٥٠ .

(٥) مدينة مشهورة بما وراء النهر في الإقليم الرابع. ("معجم البلدان"، ج٣ ص ٢٤٦، ٢٤٧ . زكريا بن محمد القزويني: "آثار البلاد وأخبار العباد"، بيروت، ١٩٦٩م، ص ٥٣٥م، ص ٥٣٥، ٥٣٦).

(٦) مدينة عظيمة، من أعلى المدن، جامعة لأشتات الأوصاف الحميدة، وهي من نواحي الجبل في الإقليم الرابع. ("معجم البلدان"، ج١ ص ٢٠٦ . آثار البلاد، ص ٢٩٦).

(٧) حسينقلى ستوده: تاريخ آل مظفر، طهران، ١٣٤٧ هـ .ش، ج١ ص ٢٢٤ .

(٨) سراج الدين البلقيني من كبار العلماء والصوفية العرب، أصله من الشام، ولد في مصر فى ليلة الجمعة ثاني عشر من شهر شعبان سنة ٧٢٤ هـ .ولي إفتاء دار العدل والقضاء في دمشق فى سنة ٧٦٩ هـ، فباشره مدة يسيرة ثم عاد إلى القاهرة، ثم سافر إلى حلب فى صحبة السلطان الظاهر برقوق، واشتغل بها، ثم عاد وتوفي في القاهرة في شهر ذى القعدة في سنة ٨٠٥ هـ . من تصانيفه: "شرحان على الترمذي"، "ضوء المنهاج"، لكنه لم يكمله. كان شافعي المذهب، رثاه الحافظ شهاب الدين بن حجر بمرثية، منها:

لهف على فقد شيخ المسلمين وقد ... جل المصاب وفيه عيل مصطبرى
لهفي عليه سراجًا كان متقدًا ... يسمو ذكاء بذكاء غير منحصر

(ابن إياس: "بدائع الزهور في وقائع الدهور"، القسم الثاني، الجزء الأول، مصر ١٩٨٣م، من ص ٦٧٣ - ٦٧٥ . ابن العماد الحنبلي: "شذرات الذهب"، القاهرة، د.ت، ص ٥١، ٥٢).

(٩) وهو الابن الثانى لغياث الدين جهانكير بن تيمور. ولي حكم غزنة والهند،وفوض إليه تيمور ولاية العهد من بعده، ولكنه قتل بعد وفاة جده على يد أحد أمرائه. (عباس إقبال: "تاريخ مفصل إيران"، تهران، د.ت، ص ٦٤٠).

شيراز[١]. وبعد مقتل پير محمد في سنة ٨١٣هـ وتولي ميرزا إسكندر[٢] دخل صائن الدين في خدمته، وصار من المقربين في بلاطه بأصفهان، وفي سنة ٨١٧ هـ . دخل شاهرخ[٣] أصفهان وفارس، وقضى على ميرزا إسكندر، فاختار صائن العزلة، ولكنه تعرض لكيد أعدائه لدى شاهرخ، واعتبروه من أنصار إسكندر، فسافر مرتين من أصفهان إلى خراسان، ولكن شاهرخ عفا عنه، وأعطاه قضاء يزد، وكاد له أعداؤه مرة أخرى، فرموه في دينه، واتهموه بالإلحاد، فيذكر في رسالته: " نفثة المصدور" التي أنشأها فى سنة ٨٢٠ هـ أنه اضطر إزاء هذه التهمة إلى تأليف رسالة في الاعتقاد طبقًا لرأي المذهب الشافعي[٤].

وفي يوم جمعة هاجم أحمد لر ميرزا شاهرخ على باب جامع هراة، وجرحه بخنجر، فقتل الحراس أحمد لر فورًا، وقبضوا على عدد كبير من المشتبه في تحريض المعتدي، وتصادف وجود قاسم أنوار وصائن الدين في داخل المسجد، فقبض عليهما من بين الناس، وأفرج عنهما فيما بعد.

وقضى صائن الدين حياته بين اضطهاد وسجن وعفو وانزواء، وشغل منصب القضاء، حتى حانت منيته، فتوفي في مدينة هراة[٥]، ودفن بأصفهان.

أما وفاته فإن رضا كحالة يذكرها بعد سنة ٨٢٨ هـ[٦] .أما ذبيح الله صفا[٧]، وإسماعيل البغدادي[٨]، وإلياس سركيس[٩]، فيذكرونها في سنة ٨٣٥ هـ .أما خواندمير صاحب حبيب السير[١٠] فيذكر أن صائن الدين توفي في سنة ٨٣٠ هـ .ولكن محمد تقي

---

(١) بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهو قصبة بلاد فارس في الإقليم الثالث. (معجم البلدان، ج٣ ص ٣٨٠).

(٢) ميرزا إسكندر بن جلال الدين ميرانشاه بن تيمورلنگ. (تاريخ مفصل إيران، ص ٦٤٠).

(٣) بعد وفاة تيمورلنگ تنازع أبناؤه وأحفاده الحكم، وتفتتت البلاد فيما بينهم، فتولى السلطان خليل بن ميرانشاه بن تيمور حكم العراق من سنة ٨٠٧ هـ إلى ٨١٤ هـ .وتولى شاهرخ الذى يعتبر من أشهر حكام التيموريين بقية البلاد حتى توفي في سنة ٨٥٠ هـ). تاريخ مفصل إيران، ٦٤١- ٦٤٤).

(٤) "سبك شناسى" ، ج٣ ص ٢٣٠ .

(٥) هراة: مدينة عظيمة من مدن خراسان، ما كان بخراسان مدينة أجل ولا أحصن منها، ولا أكثر خيرًا منها، بها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، وهي حاليًا إحدى مدن أفغانستان. (آثار البلاد، ص ٤٨١).

(٦) عمر رضا كحالة: "معجم المؤلفين"، بيروت، د.ت، ج٧ ص ٢٢٨ .

(٧) د. ذبيح الله صفا: "تاريخ أدبيات در إيران"، تهران ٢٥٥٣ شاهنشاهى، جلد سوم بخش دوم، ص ١١٩٧ .

(٨) إسماعيل باشا البغدادي: "هدية العارفين"، استانبول، ١٩٥١م، ج١، ص ٧٣٠ .

(٩) إلياس سكريس: "معجم المطبوعات العربية والمعربة"، القاهرة، د.ت، ص ٢٠٠ .

(١٠) "حبيب السير"، تهران، ١٣٢٣ هـ .ش، ج٣ ص ٢٣٥ .

بهار يؤكد أن تاريخ وفاة صائن الدين كانت في سنة ٨٣٦ هـ .كما جاء في نسخة صحيحة من حبيب السير يمتلكها بهار[١]. وجدير بالذكر أن إدوارد براون يذكر أن بهار كانت لديه نسخة من مؤلفات صائن الدين مخطوطة في حياته في سنة ٨٢٨هـ[٢].

مؤلفاته

ترك صائن مؤلفات وترجمات وشروحات كثيرة باللغتين العربية والفارسية في الفقه والتصوف والحكمة والحروف، كما كان شاعرًا، وفيما يلي إنتاجه مرتبًا على حروف المعجم:

١ - "أسرار الصلاة[٣]، وفقًا لأصول التصوف"، باللغة الفارسية، أولها: "شكر وسپاس پرورد كارى را كه شاهراه بندكى باركاه جلالش كه بسرمد هدايت ابدى وسعادت سرمدى مى رود". ضمن مجموعة مخطوطة بقلم فارسي جميل بخط محمد ابن حسن سلفرشاه، فرغ من كتابتها في ٧ ذي الحجة سنة ٨٦٤ هـ . من ق١- ٥٣، ومسطرتها ١٤ سطرًا، ومقياسها ١٧ × ١٠ سم، محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٥ مجاميع فارسي طلعت. وقد نشرتها كاملة بعد تحقيقها في أول طبعة لكتابي " من أعلام الشعر و النثر الفارسي فى العصرين المغولى والتيمورى ".

٢ - "أشعار در لفظ ساعت"، ذكره صائن فى نهاية رسالة شق القمر.

٣ - "إعجاز الألغاز فى شرح كلشن راز[٤]"، وهو شرح باللغة الفارسية على منظومة فارسية نظمها سعد الدين محمود بن عبد الكريم الشبستري المتوفى سنة ٧٢٠ هـ . بعنوان: "كلشن راز" على هيئة إجابة الأسئلة التي أرسلها له الأمير حسينى الهروى في سنة ٧١١ هـ .

٤ - "تحفه علائية"، وهي في أصول وآداب الدين الإسلامى وفقًا لمذاهب أهل السنة الأربعة، ألفها باللغة الفارسية في سنة ٨٣١هـ باسم الأمير علاء الدين حاكم كيلان الذى كان على المذهب الحنبلي[٥].

---

(١) سبك شناسي ، ج٣ ص ٢٣٥ .

(٢) إدوارد براون : از سعدي تا جامي ، ترجمة: علي أصغر حكمت، تهران ١٣٣٩ هـ .ش، ص ٧١٣ .

(٣) إسماعيل باشا البغدادي : "هدية العارفين"، استانبول ١٩٥١، ج١ ص ٧٣٠ ، محمد تقي بهار: "سبك شناسى"، تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهي ، ج٣ ص ٢٣٧ .

(٤) المرجعان السابقان، ج١ ص ٧٣٠، ج٣ ص ٢٣٦ .

(٥) "سبك شناسى"، ج٣ ص ٢٣٦ .

٥ - "ترجمة أحاديث عن حضرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب"، وهي باللغة الفارسية[١].

٦ - "ترجمة قصيدة التائية الكبرى الممروفة بنظم السلوك لابن الفارض" (٥٧٦-٦٣٢ هـ)، والتي مطلعها:

سقتني حميا الحب راحة مقلتي

وآسى محيا من عن الحسن جلت[٢]

وقد أتم صائن الدين ترجمتها نثرًا باللغة الفارسية في ١٤ من شهر ذى الحجة سنة ٨٠٦ هـ .أولها : حمد بى حد خداى را كه نهال بود ازرياض اراضى كان الله مقطوع كرد ... إلخ. نسخة مخطوطة بقلم فارسي جميل، تمت كتابة في سنة ٨٥٥ هـ .فى ١٣٤ ورقة، مسطرتها ٢١ سطرًا مقياسها ١٧,٥ × ١٠,٥ سم، وبها آثار رطوبة، ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١ تصوف فارسي طلعت [٣].وعنوان النسخة" ترجمة الدرر.

٧ - "حواش واصطلاحات باللغة العربية"[٤].

٨ - "رسالة أطوار ثلاثة"[٥]، وهي باللغة الفارسية في شرح الآية الكريمة: "فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات". توجد منها نسخة ضمن المجموعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥ مجاميع فارسي طلعت، من ق ٨٢- ٩٨ . أولها: الحمد لله على دقايق كماله والصلاة والسلام على محمد وآله، أما بعد دى زمانى در كنج زاويه اى انزوا باى صبر در دامن فراغت ... إلخ. وقد نشرتها فى القسم الثانى من كتابي " من أعلام الشعر والنثر الفارسي في العصرين المغولي والتيموري".

٩ - "الرسالة الإنزالية"، وهي باللغة العربية في نزول الكتاب طبقًا لرأي المتكلمين[٦].

١٠ - "الرسالة البائية"، وهي باللغة العربية في الأعداد والحروف والجفر[٧].

---

(١) المرجع السابق، ج٣ ص ٢٣٧ .

(٢) "ديوان ابن الفارض"، تحقيق: د. عبد الخالق محمود. دار المعارف، ١٩٨٤م، ص ٨٣ .

(٣) "سبك شناسي"، ج٣ ص ٢٣٦ .

(٤) المرجع السابق، ص ٢٣٥ .

(٥) المرجع السابق، ص ٢٣٦ .

(٦) "سبك شناسي"، ج٣ ص ٢٣٥ .

(٧) المرجع السابق، نفس الصفحة.

١١ - "رسالة التمهيد في شرح قواعد التوحيد"، وهي باللغة العربية، ألفها وفقًا لآراء أهل الكلام والتصوف، وقريبة من تذوق الإشراقيين. يذكر المؤلف أن جده "أبو حامد" كان قد كتب رسالة مختصرة في دفع شبهات المشائين الغامضة، فلمَّا جاء صائن رأى أن يبسط القول في هذه المسألة[١].

١٢ - "رسالة در اعتقاد"، كتبها باللغة الفارسية باسم شاهرخ لرد تهمة التصوف عنه، وختمها بحكاية عن الإمام أبى حامد الغزالى[٢].

١٣ - "رسالة در تصوف"[٣]، وهى باللغة الفارسية، توجد منها نسخة ضمن المجموعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥ مجاميع فارسى طلعت، من ق ٩٨ - ١١١ .

أولها: بعد از حمد بى عد خدائى را كه در سرحد بدايت بحكم آفريد كارى هر ذره از ذرات كاينات را راهى جدا ... إلخ. وقد نشرتها فى القسم الثانى من كتابي "من أعلام الشعر والنثر الفارسي في العصرين المغولي والتيموري".

١٤ - "رسالة در معنى ده بيت از شيخ محيى الدين بن العربي"، وهي باللغة الفارسية[٤].

١٥ - "رسالة فى البسملة"، وهى باللغة العربية[٥].

١٦ - "رسالة سلم دار السلام في بيان حكم أحكام أركان الإسلام"[٦]، وهى باللغة الفارسية.

١٧ - "رسالة سؤال الملوك"، وهي باللغة الفارسية في علم الحروف والأعداد، ألفها لميرزا بايسنقر[٧].

١٨ - "رسالة شق قمر وبيان ساعت"[٨]، وهى باللغة الفارسية، وتوجد منها نسخة ضمن المجموعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥ مجاميع

(١) "هدية العارفين"، ج١ ص ٧٣٠؛ "سبك شناسى"، ج٣ ص ٢٣٥

(٢) المرجع السابق، ج٣ ص ٢٣٦ .

(٣) يذكرها بهار باسم "رساله انجام در تصوف"، ج٣ ص ٢٣٧ .

(٤) "سبك شناسى"، ج٣ ص ٢٣٧ .

(٥) المرجع السابق، ص ٢٣٦ .

(٦) المرجع السابق، ص ٢٣٧ .

(٧) المرجع السابق، ص ٢٣٧ .

(٨) "هدية العارفين"، ج١ ص ٧٣٠؛ "سبك شناسى" ، ج٣ ص ٢٣٧ .

فارسى طلعت، من ق ١١١ - ١٢٤ .

١٩ - "رسالة في ختم النبوة"، وهي باللغة العربية[١].

٢٠ - "رسالة كوچك در معنى خواص علم صرف طبقًا للتصوف"[٢]، وهي باللغة الفارسية.

٢١ - "رسالة مبدأ ومعاد"، باللغة الفارسية، ألفها في سنة ٨٣٢ هـ، باسم ناصر الدنيا والدين علي[٣].

٢٢ - "الرسالة المحمدية"، باللغة العربية، في الألفاظ والحكم القرآنية، وكشف اسم محمد عليه الصلاة والسلام طبقًا لرأي الحروفيين[٤].

٢٣ - "رسالة مختصرة في توضيح تعليقات على الكشاف"[٥] .

٢٤ - "رساله نقطة"، باللغة الفارسية، في معنى "أنا النقطة التي تحت الباء"[٦].

٢٥ - "شرح تائية ابن الفارض"، باللغة العربية، ويذكر بهار أن الشرح ناقص[٧].

٢٦ - "شرح فصوص الحكم لابن عربي"[٨]، باللغة العربية، ويذكر حاجي خليفة أن الشرح ممزوج مختصر.

٢٧ - ضوء اللمعات[٩]، وهو شرح باللغة الفارسية على لمعات فخر الدين إبراهيم ابن شهريار العراقي المتوفى سنة ٦٨٨ هـ .وتوجد منه نسختان خطيتان محفوظتان بدار الكتب المصرية، هما:

أ - نسخة مخطوطة بقلم فارسي جميل، تمت كتابتها سنة ٨٤٤ هـ، بهراة، ضمن مجموعة من ق ١٢٨ ظ- ١٤٣ . مسطرتها ١٩ سطرتها، ومقياسها ١٨ × ١٢ سم، رقمها

(١) المرجع السابق، ص ٢٣٦ .
(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٧ .
(٣) سبك شناسي، ج٣ ص ٢٣٧
(٤) المرجع السابق، ص ٢٣٥ .
(٥) المرجع السابق، ص ٢٣٦ .
(٦) المرجع السابق، ص ٢٣٧ .
(٧) "هدية العارفين"، ج١ ص ٧٣٠؛ سبك شناسى، ٢٣٦ .
(٨) "حاجي خليفة": "كشف الظنون"، بيروت، د.ت، ج٢ ص ١٢٦٣؛ "هدية العارفين"، ج١ ص ٧٣٠؛ "سبك شناسي"، ص ٢٣٥ .
(٩) المرجع السابق، ص ٢٣٦؛ "كشف الظنون"، ج٢، ص ١٥٦٣- ١٥٦٤؛ "هدية العارفين"، ج١، ص ٧٣٠ .

بدار الكتب ٣٣ مجاميع فارسي طلعت.

أولها: سپاس وستايش پرورد كارى را كه پرتوى از لمعات جلالش آفتاب جمال خاتمى را از مشرق ادمي تابان ساخت تا هر ذره از فروغ انوار كمالش ... الخ.

ب ـ نسخة أخرى ضمن مجموعة مخطوطة سنة ٨٦٤ هـ، محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥ مجاميع فارسي طلعت، من ق ٥٤- ٨١ . وقد حققتها ونشرتها في العدد الخامس من مجلة الكلية من ص ٦٩ ـ ١٢٣ .

٢٨ - كتاب: "المفاحص في الحكم الإلهية"، باللغة العربية، في علم الحروف والأعداد، ومبني على التوحيد[١].

٢٩ - كتاب: "المناهج في المنطق"، باللغة العربية[٢].

٣٠ - "مدارج أفهام الأفواج"، وهو باللغة الفارسية في تفسير قوله تعالى: "ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين" (الأنعام ١٤٣)، ألفه في مازندران سنة ٨٣١هـ[٣].

٣١ - "مرآة الناظرين في شرح منازل السائرين"[٤]، لا أعرف إن كان باللغة العربية أو باللغة الفارسية؛ لأن إسماعيل باشا البغدادى أورده هكذا في كتابه: "إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون".

٣٢ - "مناظرة بزم ورزم"، وهو باللغة الفارسية، يحتوي حكايات بأسلوب أدبي ، وعبارات لطيفة[٥].

رسالة شق القمر وبيان الساعة

لا نعرف على وجه التحديد تاريخ تأليفها، ولم يحرص صائن الدين نفسه على أن يذكر لنا هذا التاريخ كما فعل في بعض مؤلفاته.

---

(١) "هدية العارفين"، ج١ ص ٧٢٠؛ "سبك شناسي"، ٢٣٥؛ عمر رضا كحالة: "معجم المؤلفين"، بيروت، د.ت، ج٧ ص ٢٢٨ . وتوجد منه نسخة محفوظة بمكتبة الدكتور حسين علي محفوظ فى مكتبة كلية الآداب، جامعة بغداد.

(٢) "سبك شناسي" ، ٢٣٦ .

(٣) "سبك شناسي"، ج٣ ص ٢٣٦ .

(٤) "هدية العارفين"، ج١ ص ٧٣٠؛ ذيل الظنون، ج٢ ص ٤٦٢ .

(٥) "شبك شناسي"، ج٣ ص ٢٣٧ .

عنوان الرسالة

ذكرها صاحب "هدية العارفين" بعنوان: "رسالة في شق القمر"[١]، وذكرها بهار بعنوان: "رسالة شق القمر وبيان الساعة"[٢]، وهذا العنوان هو الأقرب للصواب؛ لأن الرسالة ذات شقين: أحدهما في شق القمر، والآخر في بيان الساعة، فإذا بحثنا فى داخل الرسالة وجدنا صاحبها يقول في الشق الأول: "إنه رأى أن يبسط بساط المناظرة في بحث شق القمر وتحقيق بيانه"، ويختم هذا الشق بقوله: "ولا يتسع المجال في هذه الرسالة، وإذا كان للطالب قدرة على استيعاب المزيد فليطالع المطولات".

ويقول في مقدمة الشق الثاني : "ولما كانت الساعة قد جاء ذكرها مرتبطًا بشق القمر في الآية القرآنية، فسيكون بيان معنى الساعة بنفس المراتب والطبقات السبع؛ حتى يتم معنى الآية، والآية هي: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[٣].

والرسالة ليست تفسيرًا للآية القرآنية، ولكنها في بيان معنى شق القمر ومعنى الساعة، ويقصد بها البعث، هل سيكون بالروح والجسد أم بالروح فقط؟ وعرض آراء مختلفة في ذلك.

محتويات الرسالة

تحتوى الرسالة قسمين، هما: بحث في شق القمر وتحقيق بيانه، ومقالة فى بيان معنى الساعة.

أ- بحث في شق القمر وتحقيق بيانه:

قسمه المؤلف إلى مقدمة وسبع طبقات:

ذكر في المقدمة أنه رأى أن يبسط بساط المناظرة في بحث شق القمر وتحقيق بيانه؛ لأن أهل الظاهر كانوا يثبتون ذلك، مما أدى إلى إخفاء الحقيقة، وبناء على قول: "إن للقرآن سبعة أبطن" فقد رأى المؤلف أن يبين ذلك في سبع طبقات، هي:

١ – طبقة أهل الظاهر، ويعني بهم المحدثين بالكلام النبوي، وترى هذه الطائفة أن

(١) "هدية العارفين"، ج١ ص ٧٣٠ .
(٢) "سبك شناسي"، ج٣ ص ٢٣٧ .
(٣) القمر: ١، ٢ .

شق القمر كان ظاهريًا، والسؤال عنه وعن كيفيته بدعة، ويهاجم المؤلف هذه الطائفة، ويشبههم بالديكة.

٢ - طبقة أهل الظاهر أيضًا، وهم يسمون حكماء الإسلام والمتكلمين، واعتقاد أكثرهم فى مسألة شق القمر هو نفس معتقد الطبقة الأولى، ولكنهم لم يمنعوا السؤال؛ حيث إن الله (سبحانه وتعالى) فاعل مختار، ويقررون أن جرم الفلك عنصر محسوس يقبل التمزيق والانشقاق.

٣ - طبقة حكماء أهل الظاهر والمتأخرين الذين يسمون بالمشائين، ومعلمهم هو أرسطاطاليس وابن سينا، وهم يرون أن شق القمر كناية عن ترك ظاهره إلى باطنه؛ حيث يرتبط بالعقل الفعال، وأن شق القمر خاص بحضرة الخاتم(ﷺ).

٤ - طبقة الحكماء القدامى، ويسمون بالإشراقيين، وفى رأيهم أن الانشقاق المحسوس للقمر محال، وأنه عبارة عن نور ممتزج يقبل ذلك؛ حيث إن جميع المعلومات المختفية فيه بالقوة تأتي إلى الفعل، وبواسطة انعكاس الأشعة يبدو كاملاً. كما أن القمر أصبح كناية عن ذلك النور الممتزج، وانشقاقه عبارة عن بروز العلم، وظهور الكمال الموجود في باطنه، والشق هو خروج الصورة وظهورها للعالمين، وتظهر لكل واحد روابط مناسبة، فلا يحتاج لوسيط، وشق القمر بهذا المعنى يوضح خاصية مرتبة الخاتم.

٥ - طبقة محققي الصوفية وأهل الشهود، وفى رأيهم أن شق القمر كناية عن معنى الخروج تمامًا من تلك الصورة الكاملة بلا تأمل الآلات الجعلية، وترتيب المقدمات للشخص الموعود حضرة الخاتم.

٦ - طبقة قارئي رموز حروف القرآن، وشق القمر في رأيهم كناية عن خروج المعنى الأصلى عن صورة رقم الكتاب بدون واسطة الفكر، ووسيلة سعيه مثلما هو معهود فى وصف المعاني ورسم العلوم، فإن القمر انشق، وخرج من مكامن الرقم.

٧ - طبقة أولى الأيدي والأبصار، ويقصد بهم آل بيت المصطفى (ﷺ)، وأن الذى يعرف الحقيقة هو الأمير علي بن أبي طالب وأولاده الأمجاد، حيث إنه وضع اسمًا لجفر سلك به طريق معنى تمام الظهور في كل وقت.

ب - مقالة فى بيان معنى الساعة

قسمها المؤلف أيضًا إلى مقدمة وسبع طبقات كسابقتها:

وذكر في مقدمتها أنه لما كانت الساعة قد جاء ذكرها مرتبطًا بشق القمر فى الآية الكريمة ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ فقد رأى أن يكتب هذه المقالة، ويلحقها بشق القمر حتى يتم معنى الآية. ورأى المؤلف أن بيان معنى الساعة سيكون بنفس المراتب والطبقات التى وردت في بحث شق القمر، وهي :

١ - الفقهاء والمحدثون من أهل الظاهر يرون أن كل ذرة من أجزاء البدن الآدمي التي تتفرق بالموت تتجمع كلها، وتحيا في تلك الساعة، ولا يجب السؤال عن كيفية ذلك.

٢ - المتكلمون وأهل العقل والفكر يرون أن الله (سبحانه وتعالى) فاعل بالاختيار، وأنه يستطيع أن يجمع أجزاء البدن التي تتفرق بالموت، ويبعث منها نفس الشخص بعينه.

٣ - الحكماء المشاءون يذكرون أن الأرواح الآدمية سوف تبعث يوم الحساب، وهى جوهر مجرد، يعني أن وجودها لا يحتاج إلى مادة قابلة لمقدار أو لون أو شكل أو حيز، ولكنها تخلق مجردة من كل هذا.

٤ - الحكماء الإشراقيون، ومرادهم العودة أيضًا بتلك الروح؛ حيث إن الحياة خالدة، وتلك الروح كانت قبلهم عبارة عن نور يرتبط بظلمة عالم الجسم.

٥ - الصوفية، ويرون أن لكل شيء عودًا إلى أصله من حيث جاء.

٦ - أرباب علم الحروف، ورأيهم مثل الطبقة السابقة؛ حيث الجميع يعود إلى أصله، ولكن الصورة التى سوف تكون بها العودة هي صورة سماوية مقدسة يحدث من آلائها عالم الجسم، ومن خليطها تصرفات تحدث خلقًا منزهًا ومبرءًا، وهى تسعة وعشرون حرفًا هبطت على خاتم الأنبياء، إذ إن معاني الحروف خالٍ من تصرفات الوضع وتدخلات نسبوها فى الخارج من أنفسهم لأنفسهم.

٧ - أولو الأيدي والأبصار، وخاصة هذا الزمان، وهى مرتبة علي بن أبييطالب، ويرون أن خروج تمام المعانى من هذه الصورة يصبح كاملاً، ولكنهم لم يستطيعوا استنباط تفاصيلها. أما عن يوم الحساب والميزان، وتحقيق الأعمال والحوض، فقد عجزوا، وهذا خاص بالأمير علي عليه السلام. ومن رأي المؤلف أن تفاصيل ذلك لا يمكن أن تعرف إلا عن طريق مرشد.

وقد ضمن صائن الدين رسالته أشعارًا فارسية، قد يكون بعضها أو كلها من نظمه،

وبيتًا من الشعر العربي، كما ذكر في نهاية رسالته أنه نظم أشعارًا فى معنى الساعة. ويؤكد لنا دولتشاه أن صائن كان من بين شعراء وعلماء ومشايخ عصر شاهرخ التيموري[١].

بعد أن عرضنا محتويات الرسالة بشقيها، نتحدث عن كل شق بمفرده.

أولاً- شق القمر

شق القمر فى القرآن الكريم

يقول الله (سبحانة وتعالى) في محكم كتابه: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ (القمر ١- ٢).

ويرجع النيسابوري والسيوطي وأغلب المفسرين سبب نزول الآية الكريمة إلى أن المشركين سألوا النبي (ﷺ) أن يريهم آيةً، فانشق القمر، ونزلت الآية المذكورة[٢].

الأحاديث النبوية الشريفة في معجزة شق القمر

وردت أحاديث نبوية كثيرة تثبت صحة حدوث معجزة شق القمر، وقد جمع ابن كثير في كتابيه: "تفسير القرآن العظيم"[٣]، و"البداية والنهاية"[٤]، والشيخ محمد أبو زهرة في كتابه" "خاتم النبيين (ﷺ)"[٥] أغلب الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في انشقاق القمر.

وتنحصر روايات شق القمر فى عدد محدود من الرواة، أهمهم أربعة، هم: أنس بن مالك، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس. ونظرًا لكثرة الأحاديث النبوية الشريفة وغزارتها نورد بعضها.

أولاً - رواية أنس بن مالك

- قال البخاري: حدثني ... عن أنس بن مالك: أن أهل مكة سألوا رسول الله (ﷺ) أن يريهم آيةً، فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما"[٦].

---

(١) دولتشاه: "تذكرة الشعراء"، بهمت محمد رمضاني، تهران، ١٣٣٨ هـ . ش، ص ٢٥٦ .

(٢) النيسابوري : "لباب النقول في أسباب النزول"، الطبعة الثانية. القاهرة، د.ت، ص ٢٠٧، ٢٠٨؛ جلال الدين السيوطي: "أسباب النزول"، القاهرة، ١٣٨٢ هـ، ص ١٦١ .

(٣) الحافظ ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرين، القاهرة ١٩٧٣م، ج٧، من ص ٤٤٥- ٤٥١ .

(٤) "البداية والنهاية"، القاهرة ١٩٣٢م، ج٣، ص ١٢٠، ١٢١ .

(٥) الشيخ محمد أبو زهرة: "خاتم النبيين (ﷺ)"، القاهرة، د.ت، ج١، من ص ٤٦٢- ٤٦٥ .

(٦) "صحيح البخاري"، ج٥، ص ٦٢ .

ثانيًا- رواية جبير بن مطعم:

ـ قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير ... عن محمد بن جبير عن أبيه، قال: انشق القمر على عهد رسول الله (ﷺ) فصار فرقتين: فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد. فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لن يستطيع أن يسحر الناس كلهم"[1].

ثالثًا- رواية ابن مسعود:

يقول ابن نعيم: حدثنا سليمان ... عن ابن مسعود قال في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، قال ابن عباس: اجتمعت المشركون إلى رسول الله (ﷺ)، منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والأسود بن يغوث، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى، وزمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث ونظراؤهم كثير، فقالوا للنبي (ﷺ): إن كنت صادقًا فشق القمر إلى فرقتين نصفًا على أبي قبيس ونصفًا على قيقعان، فقال لهم رسول الله (ﷺ): إن فعلتُ تؤمنوا؟ قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله (ﷺ) الله (سبحانه وتعالى) أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر قد مثل نصفًا على أبي قبيس ونصفًا على قيقعان، ورسول الله (ﷺ) ينادي: يا أبا سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن الأرقم، اشهدوا"[2].

وفى رواية أخرى عن ابن عباس

يقول ابن كثير: قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: عن ابن عباس، قال: كشف القمر على عهد رسول الله (ﷺ)، فقالوا: سحر القمر، فنزلت: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ . وهذا إسناد جيد، وفيه أنه كسف تلك الليلة، فلعله حصل له انشقاق فى ليلة كسوفه؛ ولهذا خفي أمره على كثير من أهل الأرض، ومع هذا فقد شوهد ذلك في كثير من بقاع الأرض، ويقال إنه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند، وفي بناء تلك الليلة، وأرخ بليلة انشقاق القمر"[3].

---

(١) "مسند الإمام أحمد"، ج٤، ص ٨١، ٨٢ .

(٢) الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ: "دلائل النبوة"، دار الوعى بحلب، ١٩٧٧م، ص ٢٣ .

(٣) "البداية والنهاية"، ج٣، ص ١٢٠ .

رابعًا- رواية عبد الله بن عمر:

- يقول أبو نعيم: حدثنا أحمد بن إسحاق ... عن ابن عمر قال: انشق القمر على عهد رسول الله (ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ): "اشهدوا"[١].

تحديد مكان وتاريخ شق القمر

من المعروف أن معجزة شق القمر على يد رسول الله (ﷺ) في مكة المكرمة، وذلك بإجماع الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في هذا الشأن، كما أن سورة القمر نزلت في مكة المكرمة، وذلك بإجماع الآراء. وحدثت قبل الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة المنورة، والتي كانت فى سنة ٦٢٢م.

ولكن الخلاف ينحصر في تحديد السنة التي حدثت فيها هذه المعجزة. هل كانت قبل الإسراء والمعراج الذى حدث في سنة ٦٢١م أم بعد هذا التاريخ؟ ولم يقطع أحد برأى فى هذا الشأن.

وإن كنا نقول إن معجزة شق القمر ربما تكون قد حدثت بعد الإسراء والمعراج، حيث إننا نجد سورة القمر التي يسميها بعض المفسرين "اقتربت الساعة" قد أنزلت في بعض الروايات بعد حدوث الإسراء[٢]، وفي روايات أخرى بعد بداية نزول الوحي بخمس سنوات، والله تعالى أعلم.

شق القمر في كتب التفاسير

أعرض هنا للتفاسير التي تأثر بها صائن الدين في رسالته بشقيها، ومن أهم هذه التفاسير: "جامع البيان فى تفسير القرآن" للطبرى ، و"الكشاف عن حقائق التنزيل" للزمخشري، وتفسير ابن عربى ، "والجامع لأحكام القرآن" للقرطبي.

أ- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري

يقول أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ :القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾، يعنى تعالى ذكره بقوله اقتربت الساعة دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله اقتربت افتعلت من القرب، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها فى غفلة ساهون.

---

(١) "دلائل النبوة" لابن نعيم، ص ٢٢٣ .

(٢) جلال الدين السيوطي : "الإتقان في علوم القرآن"، ١٩٧٤م، ج١، من ص ٤١- ٤٥ .

وقوله: انشق القمر، يقول جل ثناؤه، وانفلق القمر، وكان ذلك فيما ذكر على عهد رسول الله (ﷺ) وهو بمكة قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار مكة سألوه آية، فأراهم (ﷺ) انشقاق القمر آية حجةً على صدق قوله وحقيقة نبوته. فلما أراهم أعرضوا وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمر، سحرنا محمد، فقال جل ثناؤه: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ وبنحو الذي قلنا جاءت الآثار، وقال به أهل التأويل"[1].

وكما رأينا في تفسير الطبرى ، فإن صائن الدين يدخل المفسرين والمحدثين بالكلام النبوى من بين أهل الظاهر الذين يعتقدون أن شق القمر كان ظاهريًا ، وشبههم بالديكة، وإنني شخصيًا لا أوافقه على هذا الرأى؛ لأن أغلب المفسرين يؤكدون بناء على الأحاديث النبوية الشريفة، وبناء على معنى الآية القرآنية أن انشقاق القمر قد حدث بالفعل، وأن هذا الانشقاق دليل على اقتراب قيام الساعة.

ب- الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل

لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، وهو معتزلى ، ويعبر تفسيره عن وجهة نظر المعتزلة الذين يدخلون ضمن المتكلمين.

يقول الزمخشري: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، انشقاق القمر آية من آيات رسول الله (ﷺ) ومعجزاته النيرة. عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن الكفار سألوا رسول الله (ﷺ) فانشق القمر مرتين. وكذا عن ابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهما. قال ابن عباس: انفلق فلقتين، فلقة ذهبت، وفلقة بقيت. وقال ابن مسعود: رأيت حراء بين فلقتي القمر. وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة، وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ يرده، وكفى به رادًا. وفي قراءة حذيفة "وقد انشق القمر": أى اقتربت الساعة، وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق، كما تقول أقبل الأمير، وقد جاء المبشر بقدومه. وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن، ثم قال: ألا إن الساعة قد اقتربت، وأن القمر قد انشق على عهد نبيكم، مستمر: دائم مطرد، وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه: قد استمر، لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا: هذا سحر مستمر، وقيل: مستمر قوى محكم، من قوله استمر مريره"[2].

---

(١) الطبرى : "جامع البيان في تفسير القرآن"، بولاق ١٣٢٨هـ، ج٢٧، ص ٥٠- ٥٢ .

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧- ٥٣٨ هـ): "الكشاف"، دار المعرفة ببيروت، د.ت، عن طبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، د.ت، ج٤، ص ٣٥، ٣٦ .

وكما رأينا فإن الزمخشري رأي رأيين، أحدهما: أن القمر قد انشق بدليل الأحاديث النبوية التى وردت فى ذلك، والثانى أن القمر سينشق قبل حدوث الساعة، والرأى الأول للزمخشري يوافق رأى صائن الدين فى المرتبة الثانية.

ج - تفسير ابن عربى

يقول ابن عربى: "علم الله سبحانه انتظار أرواح الأنبياء والمرسلين وملائكته المقربين والأولياء العارفين من آدم عليه الصلاة والسلام، وجميع أولاده الصالحين، كشف رؤية الحق، وقرب وصاله، والدخول في جواره، فبشرهم الله أنها مقرونة بقدوم محمد (ﷺ). فلما خرج بالنبوة ورسالة الله، شك فيها المشركون، فأراهم الله صدق وعيده، وأنه من أعظم آياته انشقاق القمر حتى يعرفوا آية يريها الله إلى العالمين، يخبرهم بإتيان الساعة التى فيها كشوف العجائب، وظهور الغرائب من آيات الله وصفاته وذاته. قال عبد العزيز المكى: الاقتراب يدل على معنى أكثر، ويمض ي الأكثر عن قريب قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾[1].

وقد تأثر صائن الدين بابن عربي أثناء عرضه رأي محققي الصوفية وأهل الشهود في الطبقة الخامسة في قوله: " إن سبب تنزل أهل الوجود في المراتب الإلهية والعوالم الكيانية فى كل صورة هو ظهور كماله".

د- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

ويعتبر تفسير القرطبي في موضوع شق القمر من أهم التفاسير وأشملها لمختلف الآراء.

يقول القرطبي عن قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾: اقتربت، أى: قربت ... فهى بالإضافة إلى ما مضى قريبة، لأنه قد مضى أكثر الدنيا. كما روى قتادة عن أنس ... ثم قال تعالى: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، أي: وقد انشق القمر. وكذا قرأ حذيفة: "اقتربت الساعة وقد انشق القمر"، بزيادة "قد"، وعلى هذا جمهور العلماء، ثبت ذلك في صحيح البخاري وغيره من حديث ابن مسعود وابن عمر وأنس وجبير بن مطعم وابن عباس رضى الله عنهم ... وقال قوم: لم يقع انشقاق القمر، وهو منتظر. أى: اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر، وأن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر

(١) محيى الدين ابن عربى: "تفسير القرآن الكريم"، مطبوع على هامش: "عرائس البيان فى حقائق القرآن"، القاهرة ١٣١٥ هـ، تفسير سورة القمر.

وغيره. وكذا قال القشيرى[١]. وذكر الماوردي أن هذا قول الجمهور، وقال: لأنه إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه، لأنه ليس آية، والناس فى الآيات سواء. وقال الحسن: اقتربت الساعة، فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية. وقيل: وانشق القمر، أى: وضح الأمر وظهر، والعرب تضرب بالقمر مثلاً فيما وضح، قال:

أقيموا بني أمية صدور مطيكم فإني إلى حي سواكم لأميل

فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحل

وقيل: انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه فى أثنائها؛ كما يسمى الصبح فلقاً؛ لانفلاق الظلمة عنه. وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه، كما قال النابغة:

فلما أدبروا ولهم دوي دعانا عند شق القمر داع

وقد ثبت بنقل الآحاد العدول أن القمر انشق بمكة وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها؛ لأنها كانت آية ليلية، وأنها كانت باستدعاء النبى (ﷺ) من الله تعالى عند التحدي ....." [٢].

والواضح من تفسير القرطبى أنه جمع ثلاثة آراء:

رأي الطبقة الأولى، وهم أهل الظاهر، ورأي الطبقة الثانية، وهم الحكماء والمتكلمون، ويمثلهم الزمخشري المعتزلي المذهب، ثم رأي الطبقة الخامسة، وهم الصوفية، والذى يعتبر القشيرى أحد المعتدلين منهم.

وبعد أن عرضنا لكتب التفاسير التى يحتمل أن يكون صائن الدين قد تأثر بها، ننتقل لعرض آراء الفلاسفة والحروفيين وأولى الأيدى والأبصار.

شق القمر فى كتب الفلاسفة والحروفيين وأولي الأيدي والأبصار:

أ- الفلاسفة

من أهم الفلاسفة الذين تأثر بهم صائن الدين المشاءون والإشراقيون. وقد ضمن صائن الدين رأي المشائين فى الطبقة الثالثة الذين أُطلِق عليهم "حكماء الظاهر والمتأخرون".

(١) يذكر القشيري أن انشقاق القمر فيه إعجاز على وجهين: أحدهما رؤية من رأى ذلك، والثاني خفاء مثل ذلك على من لم يره؛ لأنه لا ينكتم مثله في العادة، فإذا خفي كان نقض العادة. (القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ : "لطائف الإشارات"، تحقيق د. إبراهيم بسيونى، القاهرة، ١٩٨٣م، ج٣، ص ٤٩٣ .

(٢) أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ :"الجامع لأحكام القرآن"، القاهرة، ١٩٦٧م، ج١٧، من ص ١٢٥- ١٢٧ .

ومن المعروف أن المشائين كانوا من أتباع أرسطو، ومنهم ابن سينا الذي يرى أن الله واجب الوجود لذاته، والواجب مفهوم منطقي يقابل المستحيل، ويتوسط الممكن بينهما. والموجود هو حجر الزاوية في الفلسفة المشائية. وقد اصطنع ابن سينا لنفسه فى آخر حياته فلسفة أخرى خلاف المشائية التي بسطها في "الشفاء"، وفي "النجاة". هي التى يسميها الفلسفة المشرقية، كما تتمثل في "الإشارات"، والفلسفة المشرقية إشراقية صوفية متأثرة بالمشرق في فارس[١].

وقد فطن الغزالى لما في آراء ابن سينا من خطر على الإسلام، فكتب "تهافت الفلاسفة" يكفرهم في عشرين مسألة، على رأسها القول بقدم العالم، وعدم علم الله بالجزئيات، ونفي المعاد[٢].

ويعتبر ابن سينا من بين الإشراقيين الذين ينضم إليهم السهروردى صاحب كتاب "هياكل النور". والتي ضمن صائن آراءهم تحت الطبقة الرابعة، وهم الحكماء القدامى الذين يسمون في عرف الزمان بالإشراقيين، وهم أتباع أفلاطون.

ب- الحروفيون

الحرف: الناقة الضامرة، والحرف: الطرف، وحرف كل شيء جانبه. والحروف ثلاثة أنواع: فكرية، ولفظية، وخطية.

فالحروف الفكرية هي صور روحانية في أفكار النفوس مصورة في جوهر مما قبل إخراجها معانيها بالألفاظ[٣]. وهي التي تهمنا في بحثنا.

وحروف المعجم فى أوائل تسعة وعشرين سورة هي: سورة البقرة، وآل عمران، والأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، ومريم، وطه، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، ويس، وص، والمؤمنون، وحم السجدة، وعسق، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، وق، ون.

وهي كلها سبعة وسبعون حرفًا، والذى لم يتكرر منها ك، ن[٤].

---

(١) د. أحمد فؤاد الأهواني: "المدارس الفلسفية"، مكتبة مصر، ١٩٦٥م، من ص ١٤٦- ١٤٧ .

(٢) "المدارس الفلسفية"، ص ١٤٧ .

(٣) أحمد بن محمد بن المظفر المختار الرازي: "الحروف"، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، تحقيق د. رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٤٦، ١٤ ٧ .

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٧ .

وقد شغل فريق من الصوفية أنفسهم بتفسير الحروف في القرآن الكريم، وبيان علاقة بعضها ببعض. ومن أمثلة ذلك ما ذكره الطوسي من أن جميع ما أدركته العلوم وألحقته الفهوم ما عبر عنه، وما أشير إليه مستنبط من حرفين من أول كتاب الله تعالى، وهى قوله "بسم الله"، و"الحمد لله"، لأن معناه بالله ولله، والإشارة في ذلك أن جميع ما أحاط به علوم الخلق وأدركته فهومهم، فليست هى قائمة بذاتها، وإنما هي بالله ولله[١].

ويقول ابن عربي: إن الأنبياء عليهم السلام وضعوا حروف التهجي بإزاء مراتب الموجودات، وقد وجدت في أيام عيسى عليه الصلاة والسلام، وأمير المؤمنين على عليه السلام، وبعض الصحابة ما يشير إلى ذلك.

ولهذا قيل: ظهرت الموجودات من باء "بسم الله"، إذ هي الحرف الذي يلي الألف الموصوفة بأنها ذات الله، فهى إشارة إلى العقل الأول الذى هو أول ما خلق الله ....[٢].

ولصائن الدين رسالة في النقطة التى تحت الباء.

ومثال آخر للتفسير الحروفي من تفسير ابن عربى لأول سورة البقرة: "ألم" "إشارة بهذه الحروف الثلاثة إلى كل الوجود من حيث هو كل، لأن "ا" إشارة إلى ذات الذى هو أول الوجود ... و"ل" إلى العقل الفعال المسمى جبريل، وهو واسطة الوجود، الذي يستفيض من المبدأ، ويفيض إلى المنتهى، و"م" إلى محمد، الذي هو آخر الوجود تتم به دائرته، وتتصل بأولها، ولهذا ختم، وقال: إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض"[٣].

ج- أولو الأيدي والأبصار:

يقول (سبحانه وتعالى) في قرآنه المجيد: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾[٤].

يقول الزمخشري في تفسيره لأولي الأيدي والأبصار: يريد أولي الأعمال والفكر، كان الذين لا يعملون أعمال الآخرة، ولا يجاهدون في الله، ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات ولا يستبصرون، فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم،

(١) أحمد الشرباصي: "فقه التفسير"، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٣٤ .
(٢) ابن عربى: "تفسير القرآن الكريم"، القاهرة وبيروت، د.ت، ص ٨ .
(٣) تفسير ابن عربى، ص ١٣ .
(٤) سورة ص" الآية ٤٥ .

والمسلوبي العقل الذين لا استبصار بهم، وفيه تعريض لكل من لم يكن من عمال الله، ولا المستبصرين في دين الله، وتوبيخ على تركهم المجاهدة، والتأمل مع كونهم متمكنين منهم. وقرئ "أولي الأيدي" على جمع الجمع، وفي قراءة ابن مسعود "أولي الأيد" على طرح الياء، والاكتفاء بالكسرة، وتفسيره بالأيد من التأييد قلق غير متمكن[١].

ويقول القرطبي: "أولي الأيدي والأبصار". قال النحاس: أما (الأبصار)، فمتفق على تأويلها أنها البصائر في الدين والعلم. وأما (الأيدي) فمختلف في تأويلها. فأهل التفسير يقولون: إنها القوة في الدين. وقوم يقولون: الأيدي جمع يد، وهى النعمة، أى هم أصحاب النعم، أى الذين أنعم الله (سبحانه وتعالى) عليهم. وقيل هم أصحاب النعم والإحسان؛ لأنهم قد أحسنوا وقدموا الخير، وهذا اختيار الطبري[٢].

ويقول ابن كثير في تفسيرها: يعني بذلك العمل الصالح، والعلم النافع، والقوة فى العبادة، والبصيرة النافذة[٣].

ويقول عنهم صاحبنا إنهم أتباع علي بن أبي طالب وأولاده الأمجاد، ويضعهم فى المرتبة السابعة، وهى أعلى المراتب في رأيه، ويذكر أنهم وضعوا جفرًا.

ويقول طاشكبرى زاده عن علم الجفر والجامعة: هو عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر، المحتوي على ما كان وما يكون كليًا وجزئيًا، والجفر عبارة عن لوح القدر، الذي هو نفس الكل، وقالت طائفة: إن الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريقة البسط الأعظم فى جلد الجفر، يستخرج منها بطرق مخصوصة وشرائط معينة ما فى لوح القضاء والقدر، وهذا علم توارثه أهل البيت ومن ينتمى إليهم، ويأخذ منهم من المشايخ الكاملين، وكانوا يكتمونه عن غيرهم كل الكتمان. وقيل: لا يقف على هذا الكتاب إلا المهدي المنتظر خروجه فى آخر الزمان[٤].

ويقول عنه التهانوى في كشاف اصطلاحات الفنون: (الجَفْر) بالفتح وسكون الفاء، هو علم يبحث فيه عن الحروف من حيث هى بناء مستقل الدلالة، ويسمى بعلم الحروف، وبعلم التكسير أيضًا.

---

(١) "الكشاف"، ج٣، ص ٣٧٧ .

(٢) "تفسير القرطبى"، ج١٥، ص ٢١٧ .

(٣) "تفسير ابن كثير"، ج٧، ص ٦٦ .

(٤) طاشكبرى زاده: "مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم"، تحقيق: كامل كامل بكرى، وعبد الوهاب أبو النور. دار الكتب الحديثة بالقاهرة، د.ت، ج٢، ص ٥١٤ .

وفائدته: الاطلاع على فهم الخطاب المحمدي الذى لا يكون إلا بمعرفة اللسان العربي، ويعرف من هذا العلم حوادث العالم إلى انقراضه ... و"الجفر" و"الجامعة" كتابان لعلي - كرم الله وجهه- قد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم، وكان الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونهما ... ولمشايخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيه إلى أهل البيت، ورأيت (أى التهانوي) أن بالشام نظمًا أشير فيه بالرموز إلى أحوال ملوك مصر، وسمعت أنه مستخرج من ذينك الكتابين[1].

ومما سبق نستطيع أن نقول إن الحروفيين الذين جعلهم صائن الدين في الطبقة السادسة هم الذين يفسرون القرآن الكريم عن طريق الحروف كما فعل ابن عربي وغيره فى تفسيراتهم. أما أولو الأيدي والأبصار الذين جعلهم صاحبنا في المرتبة السابعة هم الذين اختصوا بعمل "الجفر" و"الجامعة"، وهم - كما رأينا - علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه- وأبناؤه، وما هي إلا حروف وضعوها استخرجوا منها أخبار العالم منذ قيامه إلى ساعة فنائه، ولا يعلم من أسرار ذلك إلا الأئمة، كما يذكر صائن الدين نفسه وطاشكبرى زاده والتهانوي.

شق القمر والعلم في العصر الحديث

يذكر الدكتور زغلول النجار أنه كان يلقي محاضرة في كلية الطب بجامعة كارليل فى غرب بريطانيا، وحضر مسلمون وغير مسلمين، فوقف شاب مسلم وسأله: هل ترى فى الآية الكريمة: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ لمحة من لمحات الإعجاز العلمي فى القرآن الكريم؟ فقال الدكتور زغلول: لا؛ لأن الإعجاز يفسره العلم، أما المعجزات فلا يستطيع العلم أن يفسرها، فالمعجزة خارقة للسنن، فلا تستطيع السنة أن تفسرها، فهذه معجزة حدثت لرسول الله (ﷺ) لتشهد له بالنبوة، وتشهد له بالرسالة؛ لأن المعجزات الحسية شهادة على من رآها ...

وبعد أن أتم الدكتور زغلول حديثه وقف شاب بريطاني مسلم اسمه "داود موسى فيكتور" رئيس الحزب الإسلامي البريطانى ، وقال: وأنا أبحث عن الأديان أهداني شاب مسلم ترجمة لمعاني القرآن الكريم بالإنجليزية، فلما قرأت آية ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، قلت: هل يعقل هذا الكلام، فصدّتني هذه الآية عن إتمام القراءة،

(١) التهانوي: "كشاف اصطلاحات الفنون"، تحقيق: د. لطفى عبد البديع، وترجم النصوص الفارسية: د. عبد النعيم محمد حسنين، القاهرة، ١٩٦٣م، ج١، ص ٢٨٧- ٢٨٨ .

وتركت المصحف، وانشغلت في أمور حياتى .

وفي يوم من الأيام أجلسني ربي أمام التلفاز البريطاني، وكان هناك حوار يدور بين معلق بريطانى وثلاثة من علماء الفضاء الأمريكان، فكان المذيع يعاتب العلماء بسبب الإنفاق الشديد على رحلات الفضاء، فى الوقت الذي ينتشر فيه الجوع والفقر والمرض والتخلف بين البشر، وجلس هؤلاء العلماء الثلاثة يدافعون عن وجهة نظرهم في الإنفاق على بحوث الفضاء، وأن هذه التقنية يمكن تطبيقها في الطب والزراعة والصناعة.

وفي هذا الحوار جاء ذكر أول رحلة للقمر كانت أكثر الرحلات كلفة؛ حيث تكلفت مائة ألف مليون دولار، فقد كان العلماء يدرسون التركيب الداخلي لسطح القمر، وجدوا أنهم لو أنفقوا أضعاف هذا المال لإقناع الناس بحقيقة وجدوها ما صدقهم أحد. فقال المذيع: ما هذه الحقيقة؟ فقالوا: هذا القمر انشق فى يوم من الأيام ثم التحم. فقال: كيف علمتم هذا؟ فقالوا: وجدنا حزامًا من الصخور المتحولة يقطع القمر من سطحه إلى جوفه، واستشرنا علماء الجيولوجيا فقالوا: لا يمكن أن يكون هذا قد حدث إلا إذا انشق القمر والتحم.

يقول داود: حينئذ عدت إلى المصحف، وأعدت القراءة، وأسلمت لله رب العالمين[1].

وبعد أن تعرفنا على شق القمر في كتب التفاسير وفي كتب الفلاسفة والحروفيين، وتعرفنا على أسماء فرق أو طبقات استحدثها صائن الدين فى رسالته نحاول أن نتحدث عن البعث، وهو الشق الثاني لرسالة صائن الدين، والذي سماه "مقالة في بيان معنى الساعة".

ثانيًا- بيان الساعة:

أ- بيان الساعة فى القرآن الكريم

قال (سبحانه وتعالى): ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٧)

(١) زغلول النجار: "من آيات الإعجاز فى القرآن الكريم"، تقديم أحمد فراج، الجزء الثانى ، مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م، ص ٥٠، ٥١ .

وقال(سبحانه وتعالى): ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات: ٤٢- ٤٦)

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

ب- بيان الساعة فى الحديث النبوى الشريف:

وردت أحاديث نبوية كثيرة في علامات الساعة، نذكر منها قول رسول الله (ﷺ): "من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنى، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، ويبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيمٌ واحدٌ". كما قال المصطفى (ﷺ): "إن بين يدي الساعة أيامًا يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج والمرج والقتل"(١).

ج- بيان الساعة في كتب التفاسير

أتعرض هنا لبعض التفاسير في موضوع بيان الساعة، وخاصةً البعث والنشور، والتفاسير هى: "لطائف الإشارات"، و"الجامع لأحكام القرآن"، و"تفسير القرآن العظيم". ويمثل كل تفسير منها اتجاهًا معينًا: فلطائف الإشارات يمثل الاتجاه الصوفي المعتدل، و"الجامع لأحكام القرآن" يمثل اتجاهات التفاسير المختلفة، أما "تفسير القرآن العظيم" فيمثل اتجاه تفسير أهل السنة الذين يمكن انتسابهم إلى أهل الظاهر إلى حد ما.

١- "لطائف الإشارات" للقشيرى:

يقول القشيري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٨- ٧٩): مهد لهم سبيل الاستدلال، وقال إن العادة فى معنى الإبداء، فأي إشكال بقي في جواز الإعادة فى الانتهاء؟ وإن الذى قدر على خلق النار في الأغصان الرطبة من المرخ والعفار قادر على خلق الحياة في الرمة البالية، ثم زاد في البيان بأن قال: إن القدرة على مثل الشيء كالقدرة عليه لاستوائها بكل وجه، وإنه يحيى النفوس بعد موتها فى

(١) صحيح مسلم، ج٨، ص ٥٨ .

العرصة كما يحيى الإنسان من النطفة والطير من البيضة، ويحيى القلوب بالعرفان لأهل الإيمان كما يميت نفوس الكفر بالهوى والطغيان[١].

٢ - "الجامع لأحكام القرآن"

يقول القرطبي في تفسير الآية السابقة: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ . أي بالية. رم العظم فهو رميم ورمام. وإنما قال رميم ولم يقل رميمة، لأنها معدولة عن فاعلة، وما كان معدولاً عن وجهه ووزنه كان مصروفًا عن إعرابه، كقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ أسقط الهاء، لأنها مصروفة عن باغية. وقيل: إن هذا الكافر قال للنبي (ﷺ): أرأيت إن سحقتها وأذريتها في الرياح، أيعيدها الله؟ فنزلت: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، أي من غير شيء، فهو قادر على إعادتها في النشأة الثانية من شيء، وهو عجم الذنب، ويقال عجب الذنب بالباء. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي كيف يبدئ ويعيد.

وفي هذه الآية دليل على أن في العظام حياة، وأنها تنجس بالموت. وهو قول أبى حنيفة وبعض أصحاب الشافعي. وقال الشافعي (رحمه الله): لا حياة فيها. وقد تقدم هذا في النحل، فإن قيل: أراد بقوله: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ﴾ أصحاب العظام، وإقامة المضاف مقام المضاف إليه كثير في اللغة موجود في الشريعة. قلنا إنما يكون إذا احتيج لضرورة، وليس هاهنا ضرورة تدعو إلى هذا الإضمار، ولا يفتقر هذا التقدير، إذا الباري (سبحانه وتعالى) قد أخبر به، وهو قادر عليه، والحقيقة تشهد له، فإن الإحساس الذى هو علامة الحياة موجود فيه، قاله ابن العربي[٢].

٣ - "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير

يقول ابن كثير: .... قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾، أي يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت، وأين تفرقت[٣]؟

ويورد ابن كثير أحاديث نبوية شريفة وردت في مسند الإمام أحمد، وفى صحيحى مسلم، والبخارى عن الرجل الذي حضرته الوفاة، فأمر بإحراق جثته بعد وفاته، وتذرية ترابه فى البر والبحر، ففعلوا وأحياه الله مرة أخرى، وسأله عن سبب ذلك، فقال الرجل: أمرت بذلك خشيةً منك سبحانك، فغفر الله له.

(١) "لطائف الإشارات"، ج٣، ص ٢٢٥، ٢٢٦ .

(٢) "الجامع لأحكام القرآن"، ج١٥، ص ٥٨، ٥٩ .

(٣) "تفسير القرآن العظيم"، ج٦، ص ٥٨٠، ٥٨١ .

د- البعث في كتب المتكلمين والفلاسفة والصوفية وغيرهم من الطبقات:

١- "ختم الأولياء" للحكيم الترمذي

يقول الترمذي: ولما كانت أحكام محمد (ﷺ) عند الله تخالف أحكام سائر الأنبياء والرسل في البعث العام، وتحليل الغنائم، وطهارة الأرض، واتخاذها مسجدًا، وأوتي جوامع الكلم ... وختمت به النبوة، عاد حكم كل نبي بعده حكم ولي، فأنزل في الدنيا من مقام اختصاصه، واستحق أن تكون لولايته الخاصة ختم يواطئ اسمه ( )، ويجوز خلفه، وما هو بالمهدي المعروف المنتظر، فإن ذلك من سلالته وعترته، والختم ليس من سلالته الحسية، ولكن من سلالة أعراقه وأخلاقه (ﷺ)[١].

٢- "الفرق بين الفرق" لعبد القاهر البغدادي الإسفراييني

يقول عبد القاهر: وقالوا (يعني أهل السنة). لمضاف إلى فناء العباد وأحكامهم في المعاد أن الله سبحانه قادر على إفناء جميع العالم جملة، وعلى إفناء جميع الأجسام مع بقاء بعضها، خلاف من زعم من القدرية البصرية أنه يقدر على إفناء كل الأجسام بفناء يخلقه لا في محل، ولا يقدر على إفناء بعض الأجسام مع بقاء بعضها.

وقالوا: إن الله (سبحانه وتعالى) يعيد في الآخرة الناس وسائر الحيوانات التي ماتت في الدنيا، وهذا خلاف قول من زعم أنه يعيد الناس دون الأحياء الباقين[٢].

٣- "قواعد العقائد" للغزالي

يقول الغزالي عن الحشر والنشر: وقد ورد بهما الشرع، وهو حق والتصديق بهما واجب؛ لأنه في العقل ممكن، ومعناه الإعادة بعد الإفناء، وذلك في مقدور الله تعالى كابتداء الإنشاء. قال تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٨- ٧٩). فاستدل بالابتداء على الإعادة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (لقمان: ٢٨)، والإعادة ابتداء ثان، فهو ممكن كالابتداء الأول[٣].

---

(١) الترمذي: كتاب "ختم الأولياء"، تحقيق: عثمان يحيى، بيروت، ص ١٦٣ .

(٢) عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، المتوفى ٤٢٩ هـ : "الفرق بين الفرق"، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، د.ت، ص ٣٤٤- ٣٤٥ .

(٣) أبو حامد الغزالي، المتوفى ٥٠٥ هـ : "قواعد العقائد"، تحقيق: موسى محمد علي، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٢١٩- ٢٢٠ .

٤- "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين" لفخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ

مسألة: أجمع المسلمون على المعاد بمعنى جمع الأجزاء بعد تفرقها خلافًا للفلاسفة.

قلنا إنه في نفسه ممكن، والصادق أخبر عنه، فوجب القول به، وإنما قلنا إنه ممكن؛ لأن الإمكان إنما ثبت بالنظر إلى القابل أو الفاعل وهما حاصلان، أما بالنظر إلى القابل فلأن قبول الجسم الأعراض الفاعلية أمر ثبت له لذاته، وما بالذات كان حاصلاً أبدًا، فذلك القبول حاصل أبدًا، وأما بالنظر إلى الفاعل فلأنه تعالى بدأ بأعيان جزء كل شخص لكونه عالمًا بالجزئيات، وقادرًا على جمعها، وخلق الحياة فيها لكونه قادرًا على كل الممكنات، وإذا كان كذلك كانت الإعادة ممكنة.

وإنما قلنا: إن الصادق أخبر عنه؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعوا على القول به، وإذا ثبت المقدمتان ظهر المطلوب، فإن قيل: أما الكلام في الإمكان فمبني على أصول تقدم القول فيها، وعليها فلا نعيدها سلمنا، لكن لا نسلم أن الصادق أخبر عنه.

قوله: الأنبياء أجمعوا عليه فلأنا لا نسلم، فإن سائر الأنبياء لم يقولوا إلا بالمعاد الروحاني، فأمَّا محمد (ﷺ) فقد جاء في شرعه ما يدل على المعاد الجسماني، ولكنك قد علمت أن دلالة الألفاظ ليست قطعية، بل ظنية، وأيضًا فكما جاء بالمعاد البدني، فقد جاء القول بالتشبيه في القرآن والتوراة، وإذا جاز المصير إلى التأويل الجسماني بالروحاني في باب التشبيه فلِمَ لا يجوز مثله في هذا الباب؟.

سلمنا أن دليلك يدل على قولك، لكنه معارض بأمور:

أحدها - أن العالم أبدي، فالقول بالحشر محال.

وثانيها - أن الجنة والنار إما أن تكونا في هذا العالم أو في عالم آخر، أما في هذا العالم فإما أن تكون في عالم الأفلاك، أو في عالم العناصر.

والأول محال؛ لأن الأجرام الفلكية لا تقبل الخرق، ولا يخلطها شيء من الفاسدات.

والثاني - وهو محض التناسخ، أما في عالم آخر فهو محال؛ لأن الفلك بسيط على ما لاح، فشكله الكرة، فلو فرض عالم آخر لكان كريًا، فيفرض بين العالمين خلاء، وهو محال.

وثالثها ـ أن إنسانًا إذا أكله إنسان آخر حتى صار جزء بدن أحدهما جزء بدن الآخر، فليس بأن يعاد جزء فى أحدهما أولى من أن يعاد جزء لبدن آخر، وجعله جزء لبدنهما محال، فلم يبق إلا أن يعاد واحد منها.

ورابعها ـ أن المقصود من البعثة إما الإيلام أو دفع الألم أو الإلذاذ، والأول لا يصح أن يكون مقصود الحكيم، والثانى باطل أيضًا. فإنه يكفييفيه البقاء على العدم، فبقي الثالث، لكن ما تخيله لذة في هذا العالم فهو في الحقيقة ليس بلذة، بل كل ذلك خلاص عن الألم أو انتقال من ألم إلى ألم آخر، وإنما اللذة بالحقيقة هي اللذة الروحية، وإذا كان كذلك كان رد النفس إلى البدن عبثًا.

والجوب: أنه ثبت بالتواتر أنه (ﷺ) كان يثبت المعاد البدني، وذلك لا يقبل التأويل ....

لما مر أن هوية الشخص ليس مجرد الجسم، بل لا بد فيها من الأعراض، وهي قد عدمت عند التفرق، فلو لم يمكن إعادة المعدوم لامتنعت إعادته من حيث إنه هو[1].

وقد شرح نصير الدين الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ في تلخيصه للمحصل آراء الفخر الرازي، ولم يأتِ بآراء جديدة.

٥- "الإنسان الكامل" للجيلي

يقول الشيخ عبد الكريم الجيلي : وأما نصيب الروح فإن حياة هيكلها هو مدة نظرها إلى الهيكل بعين الاتحاد، وموته وهو ارتفاع ذلك النظر من الهيكل إلى نفسها، فتبقى بكليتها في عالمها لكن على هيئة الهيكل الذى كان لها أن تتجسد على شكله فى عالم الأرواح، فيحكم لها بالوجود معها لذلك التجسد، لأن أحكامه ظاهرة فى ذلك المحل على تجسدها؛ ومن هنا أخطأ الكثيرون من أهل الكشف النورانى ، وحكموا أن الأجسام لا حشر لها، وأما نحن فقد علمنا بالاطلاع الإلهي حشر الأجسام مع الأرواح.

ثم يقول في موضع آخر: فإذا أراد الله بعثها إلى يوم القيامة أطلقها من مقتضيات الجسد، فصارت في أرض المحشر، ثم الإطلاق إنما كانت على أحسن ما كانت عليه في الدنيا، فإذا كانت في الدنيا على الخير كانت مطلقة على الخير، وإن كانت على الشر

(١) فخر الدين محمد الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ : "محصل أفكار المتقدمين"، وبذيله تلخيص المحصل لنصير الدين الطوسي، راجعه وقدم له: طه عبد الرءوف سعد، القاهرة، د ت من ص ٢٣٢ - ٢٣٤ .

وكانت مطلقة على الشر، لأنها لا تطلب بإطلاقها إلا ما كانت عليه في الدنيا، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى﴾[١].

وبعد أن عرضنا البعث في كتب المفسرين، وفي كتب المتكلمين والفلاسفة والصوفية وغيرهم، يمكننا أن نصنف آراءهم وفقًا للطبقات التى ذكرها صائن الدين في رسالته.

فنجد الطبقة الأولى: ويمثلها من المفسرين القرطبي وابن كثير، ومن أهل السنة والمعتدلين من الفلاسفة الغزالي فى قواعد العقائد، والإسفراييني .

والطبقة الثانية: ويمثلها من المفسرين الزمخشري المعتزلي المذهب، والذي يعتبر من المتكلمين، ويدخل في عداد المتكلمين أيضًا الفخر الرازي، ونصير الدين الطوسي الذي لخص "المحصل"، والذي يعتبر تلميذًا وفيًا لابن سينا المشائي الإشراقي، والذي رتبهما ابن سينا فى الطبقتين: الثالثة، والرابعة.

أما الطبقتان: الخامسة، والسادسة فيمثلها من المفسرين القشيري في التصوف المعتدل الذى لا يؤمن بنظرية وحدة الوجود، ويمثل هاتين الطبقتين من الكتاب الترمذي والجيلي .

أما الطبقة السابعة التي هي أولو الأيدي والأبصار، ويُقصَد بهم علي بن أبي طالب وأبناؤه الأمجاد، وهم الذين اخترعوا جفرًا فيه كل الأسرار، التي لم يفصح أحد منهم عنها، ويهتم بهذا الغلاة من الصوفية مثل الجيلي.

صائن الدين من خلال رسالته

مما سبق يتضح لنا مدى سعة ثقافة المؤلف، فقد قرأ في كتب الحديث والفقه والمتكلمين والفلاسفة (المشائين والإشراقيين) والصوفية والحروفيين، وأصحاب علم الجفر الذين يعتبرهم صائن من أفضل المراتب والطبقات، ويسميهم أولي الأيدي والأبصار، حيث إن صائن كان يردد في حياته دائمًا حديثًا ينسبه إلى النبي (ﷺ) معناه "تعلموا حتى السحر"[٢].

وقد ظهر أثر ذلك في بقية مؤلفاته،إذ إنه قام بتفسير آيات قرآنية بطريقة الحروفيين وأهل الجفر، ورسالته "شق القمر وبيان الساعة" تجمع بين دفتيها خلاصة

(١) الشيخ عبد الكريم الجيلى: "الإنسان الكامل"، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م، ج٢، ص ٨٦ .
(٢) سبك شناسي ، ج٢، ص ٢٣٥ .

فكره وثقافته ومذهبه في الحياة. وهو فيها يَعُدّ الفقهاء والمحدثين من أهل الظاهر، ويمكن إدخال أهل السنة من بينهم، ويضعهم في أدنى الطبقات، ويشبههم بالديكة، بالرغم من أنه تعلم على أيدي أساتذة من أهل السنة في مصر، كما أنه كتب رسائل في الفقه وفقًا لآراء ابن حنبل والإمام الشافعي، ولكنه كتب ذلك لتبرئة نفسه من تهم وجهت إليه بسبب كتاباته وآرائه المغرضة في التصوف.

وفي الطبقة الثانية نجده قرأ للمتكلمين من المعتزلة والفرق الكلامية المختلفة، ولم تعجبه آراؤهم، فاعتبرهم مثل الطبقة الأولى، إلا أنه وجد لديهم استعدادًا للجدل والسؤال، كما أنه كتب رسالة فى التعليق على الكشاف.

أما الطبقتان: الثالثة، والرابعة، والتي يعتبر ابن سينا ممثلاً لهما، فهو مشائى إشراقى، ولم يبد امتعاضًا من آرائهما أو استحسانًا لهما.

وإذا وصلنا إلى الطبقة الخامسة التى يضع الصوفية تحتها، فإننا نجد صاحبنا قد اهتم بكتب الصوفية، فألّف وشرح وترجم، شرح "فصوص الحكم" باللغة العربية مرة والفارسية مرة أخرى، كما فعل الشيء نفسه مع "تائية" ابن الفارض، ولم ينس "لمعات" العراقى، فقام بشرحه، وسماه "ضوء اللمعات". وهذا يدل على أنه كان من أنصار أصحاب وحدة الوجود التي تم نضجها على يد ابن عربي.

وإذا وصلنا إلى الطبقتين: السادسة، والسابعة، وهما الحروفيون وأولو الأيدى والأبصار، وكلتاهما خليط بين تصوف ابن عربي وآراء الجيلي صاحب الإنسان الكامل، الذي يصرح بأنه ضد نظرية وحدة الوجود، وجدنا آراءه أقرب إلى آراء ابن عربي .

وقد ظهر هذا الأثر كما رأينا في "رسالة شق القمر وبيان الساعة". يضاف إلى ذلك أن الجيلي كتب رسالة في النقطة، فقلده صائن الدين، وكتب رسالة فى الموضوع نفسه، ولكنها باللغة الفارسية.

وقراءتنا لهذه الرسالة تجعلنا نستنتج أنه قضى حياته في ترحال دائم مثل القلندرية. وهذا صحيح؛ لأنه قضى حياته بين ترحال في طلب العلم والمعرفة، وترحال بأمر حكام التيموريين، وانزواء، وسجن، وتولى مناصب القضاء إلى أن وافته منيته.

يقول في بداية "شق القمر": اصطحب صاحب هذه الرسالة عصا السياحة فى يد القبول، وأخذ يجول في عالم الكون، وينظر بعين الاعتبار فى كل بازار.

ويختم الرسالة بقوله: فليس كل من يحلق الرأس يعرف القلندرية.

وإذا تتبعنا كلمة "قلندر" في الشعر الصوفي نجدها قد ظهرت في رباعيات بابا طاهر العريان المتوفى سنة ٤١٠ هـ .حيث يقول في إحدى رباعياته:

- أنا ذلك الصوفي المسمى بالقلندري ،

لا بيت لى ولا مال ولا مرساة .

- حين يجيء النهار أطوف حول ديارك،

وحين يجن الليل أتوسد الحجر[١].

وألف الشيخ عبد الله الأنصاري (٣٩٦- ٤٨١ هـ) رسالة باللغة الفارسية سماها " قلندر نامه "[٢].

والقلندرية اسم لفرقة من الصوفية، لا نعرف متى بدأت، ومن تزعمها، ويقول عنها الدكتور حسين مجيب المصرى:

قلندر بفتحتين وسكون، في القرن الثامن الهجري ألف رجل يدعى قلندر الأندلسي فرقة من مبادئها قطع الإنسان الأسباب بينه وبين دنياه رغبة عنها، وزهدًا فى كل ما فيها، ورياضة النفس على التطهير من كل شائبة، ومن أهم ما تختص به هذه الطائفة أنهم يداومون على الترحال والذهاب في الأرض بعيدًا. وكذا يتميزون بحلق شعورهم ولحاهم وشواربهم وحواجبهم؛ إمعانًا منهم فى تشويه الظاهر، معلنين بذلك عن عدم اكتراثهم بما يرى الناس من مناظرهم، فحسبهم باطنهم الذى لا يطلع عليه إلا الله وحده[٣].

وفي "لغت نامه" تأتى أسماء كثيرة عن مؤسسي القلندرية، لا نعرف حقيقة منشئها.

---

(١) مو آن رندم كه نامم بسى قلندر
نه خان ديرم نه مان ديم نه لنكر
چو روز آبه بكردم كرد كويت
چو شوا به بختشان وا نهم سر
("ديوان بابا طاهر"، مقدمة وحيد دست كردى، د. إسعاد قنديل: "فنون الشعر الفارسى"، القاهرة، ١٩٧٤م، من ص ١٧٧- ١٨٥).

(٢) "فنون الشعر الفارسى" ، من ص ١٨٦- ١٩١ .

(٣) د. حسين مجيب المصري: "المعجم الفارسي العربي الجامع"، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م، ص ٠٩٩.

والفرق بين القلندري والملامتي والصوفي هو أن القلندري يملك التجريد والتغريد إلى الكمال، ويجتهد في تخريب العادات والعبادات. والملامتي يكتم العبادة عن غيره، ولا يظهر خيرًا قط، ولا يخفى شرًا أبدًا. أما الصوفي فإن قلبه لا ينشغل بالخلق أصلاً، ومرتبة الصوفي أفضل من مرتبة القلندري والملامتي[١].

وجاءت كلمة قلندر فى "فرهنگ عميدى" بمعنى درويش، وبمعنى الرجل الذى يترك الدنيا مجردًا وبلا قيد. ويقال قرندل وكلندر أيضًا[٢]. كما أن الكلمة أصبحت سبة فى العامية، وتطلق على الرجل المشوه المنظر، السَّيء الطباع والسلوك.

وخلاصة القول إن صائن الدين كان يجمع بين التصوف والحكمة، فقد كان صوفيًا حكيمًا.

أسلوب الرسالة

أنشأ صائن الدين كل مؤلفاته العربية والفارسية بأسلوب أدبي مسجع[٣]، وهي خصائص تميز بها أسلوب هذا العصر، وهو الاهتمام بالصنعة اللفظية.

وإذا تأملنا رسالة "شق القمر وبيان الساعة" نجدها مرآة صادقة لهذا النوع من الأسلوب، فصاحبنا يكثر فيها من إيراد المصادر الفارسية، مثل: شكافتن قمر- وان معنى بزبان ايشان كفتن موقوف بر ذكر مقد مه ايست- ازكَذشتن ظاهر أو - ونمودن ايشان واز جزئيات مطلقا خالي افتاد است. وغير ذلك كثير.

كما يكثر من الإضافات؛ مثل: مراتب موجودات - جمهورامم - سائر الممتنعات والمحالات - باشارت سعادت بشارت نبوي - كمال ادمي - عرف زمان- حقايق مجرده.

ويكثر أيضًا من المترادفات العربية والفارسية، مثل: ظلمت وتاريكي- وظهور و پيدائي.

ومن مطابقة الصفة للموصوف، مثل: أهل ظاهر- بساط مناظرة- إثبات معاني- مصطلحات علوم رسمي- مستبصران مناهج أدب- مسترشدان منازل طلب.

ومن الأفعال المركبة، مثل: قبول دريدن وشكافتن نمي كند- انهارا همه جواب مي كَويند وباطل مي كنند.

---

(١) "لغت نامه"، ص ٤٥٢، مادة قلندر.

(٢) حسن عميدي: "فرهنگ عميدي"، تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهي، ص ٧٩٩ .

(٣) "سبك شناسي" ، ج٣، ص ٢٣٨ .

كما يستخدم أحيانًا المصدر كردن بدلاً من بودن في الماضى البعيد، مثل: كرفته كرد.

وتكتظ الرسالة بجميع المحسنات البديعية من جناس وطباق وسجع وازدواج، وبطول الجمل، وصعوبة الأسلوب.

ويظهر فيها الأثر العربي واضحًا؛ إذ إن أغلب ألفاظها عربية، كما إنه استخدم عبارات عربية كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر: "بك اعتذرت أيامنا عن ذنوبها"- "منه بدأ وإليه يعود". هذا غير بيت عربى أورده في الرسالة. كما إنه استشهد بآيات قرآنية كريمة، وبأحاديث نبوية شريفة. وحشد في الرسالة أشعارًا فارسية تخدم موضوعها. كما جاء بأمثال فارسية وعربية.

والرسالة في مجموعها لا تخلو من مسحة جمال في أسلوبها بالرغم من الإسراف في الصنعة التى تغلب عليها، وإليك أمثلة من تشبيهاته الجميلة:

" فى يوم من الأيام بمرافقة الحظ وإقبال صحبته بحكم قوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ) اصطحب - صاحب هذه الرسالة - عصا السياحة في يد القبول، وأخذ يجول في عالم الكون، وينظر بعين الاعتبار في كل بازار، ويضع حصيلة معاملة كل طائفة موضع اختبار، فقد سقط فجأة المعبر الوحيد إلى مدارس علوم الرسوم، حيث ميدان تسابق الفهوم، فرأى أن يبسط بساط المناظرة فى بحث شق القمر وتحقيق بيانه"[1].

ومثال آخر:

"وقد يصنع سكارى الحانات فى كل لحظة داخل حانة الفيض شرابًا رطبًا لطيفًا جميلاً، وداخل صومعة التقليد يتجرع الثمالى من رشحات كأس الكمال حتى نهايته، فتدور الرءوس"[2]. ولقد كان للتصوف الفضل الكبير فى المحافظة على وجود اللغة العربية بهذا الكم الهائل في اللغة الفارسية إلى يومنا هذا.

---

(١) روزى از روزها كه بيارى دولت واقبال همرا هى ايشان بحكم فرموده أى "قل سيروا في الأرض" عصاي سياحت بدست قبول كَرفته كرد، سراپاى عالم كون ميكشت وبديده اى اعتبار در هر بازار مي نكَرست، وحاصل معامله اى هر طايفه اى بر محك عيار مى زد. يك ناكَاه كد ار بر مدارس علوم رسوم كه ميدان تسابق تجارت فهومست افتاد. ديد كادر بحث شق قمر وتحقيق بيان آن بساط مناظره كستريده".

(٢) "واكرچه در ياكشان خرابات تحقيق هر دم ازخمخانه فيض سيراب شراب لطايف جمال مى كردند، جرعه نوشان صوامع تقليد نيز از رشحات جام كمال انجامش سر مستيها مى كنند".